أثر الإسلام في الشعر العربي القديم

مقدمة:

لقد كان للشعر العربي قبل الإسلام منزلة عظيمة، فهو الديوان الذي يُسجّل فيه العرب مفاخرهم وأنسابهم وأيامهم. وكان الشاعر لسان قومه، يدافع عنهم ويُخلّد بطولاتهم، ويعبّر عن مشاعرهم في الحرب والسلم.

لكن مع بزوغ فجر الإسلام، تغيّر وجه الحياة العربية كلها، فكان لهذا التغيير العميق أثر واضح في الأدب عامةً، وفي الشعر بخاصة، إذ أعاد الإسلام تشكيل الوجدان واللغة والغاية التي يُقال من أجلها الشعر.

أولاً: ملامح الشعر العربي قبل الإسلام:

الطابع القبلي:

كان الشعر وسيلة للدفاع عن القبيلة والفخر بها، كما في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

النزعة المادية والغزل والخمر:

تكثر فيه موضوعات اللهو والمجون والغزل المادي، كقول امرئ القيس وعنترة وغيرهما.

الموضوعات الأساسية:

الفخر والحماسة والمدح والهجاء والغزل والوصف والرثاء والحكمة أحيانًا.

اللغة والصورة:

كانت لغة الشعر قوية جزلة، وصوره حسية مادية نابعة من بيئة الصحراء.

ثانياً: التحول الحضاري الذي أحدثه الإسلام:

- توحيد العقيدة والغاية:

غيّر الإسلام مقياس الشرف من العصبية القبلية إلى التقوى، قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات: 13).

- تهذيب النفس واللغة:

دعا الإسلام إلى الصدق والعفاف، فصار الشاعر يوجّه موهبته لخدمة الحق والخير والدعوة للإسلام وقيمه.

- ظهور موضوعات جديدة في الشعر:

- الزهد والتقوى
- الدفاع عن العقيدة
- مدح الرسول ﷺ
- التأمل في الكون والآخرة

ثالثاً: أثر الإسلام في موضوعات الشعر:

1- المديح النبوي:

ظهر لأول مرة مدحٌ موجه للنبي محمد ﷺ، لا لغرض دنيوي بل تعبّدًا وحبًا. كعب بن زهير في قصيدته "بانت سعاد" قال:

إن الرسول لنور يُستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلولُ

فأصبحت القصيدة الإسلامية تتجه نحو القيم الروحية بدل المفاخر الدنيوية.

2- شعر الجهاد والفتوحات:

بعد انتشار الإسلام، أصبح الشعر وسيلة تحفيز للمجاهدين وبثّ الحماسة في القلوب، كما في شعر حسان بن ثابت الذي كان يذبّ عن النبي ﷺ بشعره:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

3- شعر الزهد والوعظ:

مع توسّع الدولة الإسلامية وازدياد مظاهر الترف، برز شعراء زُهّاد يدعون إلى التوبة والتقوى، مثل أبي العتاهية الذي قال:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفسٍ إذا تسترتَ بالأبواب والحُرَسِ

4- شعر الحكمة:

تأثر الشعراء بالقرآن الكريم والسنة، فظهر شعر يميل إلى التأمل في الكون والآخرة، مستلهمًا المعاني القرآنية:

وكلّ ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ

رابعاً: أثر الإسلام في اللغة والأسلوب:

- التأثر بالقرآن الكريم:

تأثر الشعراء بجمال القرآن من حيث التراكيب، والتصوير، والموسيقى اللفظية، فأصبحت لغتهم أصفى وأبعد عن الغلوّ.

- الابتعاد عن الفحش والمجون:

لأن الإسلام نهى عن القول الفاحش، صار الشعر أكثر طهرًا وسموًا.

- بساطة المعنى وصدق العاطفة:

انتقلت القصيدة من الزخرف اللفظي إلى الصدق الإيماني.

- ظهور المصطلحات الإسلامية:

مثل: الإيمان، الجنة، النار، الجهاد، الزكاة، الحساب، الآخرة، الرحمة.

خامساً: أبرز شعراء الإسلام الأوائل:

حسان بن ثابت:

شاعر الرسول ﷺ، دافع عن الإسلام، جمع بين الحماسة والمديح الديني والدفاع الشعري عن الدعوة.

كعب بن زهير:

أول من أنشد مديحًا نبويًا بعد إسلامه وهو من وضع أساس المديح النبوي

عبد الله بن رواحة:

استخدم الشعر في الجهاد والدعوة وهو من شعراء المعارك الأولى.

أبو العتاهية:

رائد الزهد والحكمة وهو من نقل الشعر إلى ميدان الأخلاق والوعظ.

سادساً: التوازن بين الفن والدين

على الرغم من أن الإسلام وجّه الشعر نحو الفضيلة، فإنه لم يمنع الإبداع الفني؛ فقد أبقى على الصور البيانية والخيال والعاطفة، ولكن وجّهها إلى معانٍ أسمى، فصار الشعر الإسلامي يجمع بين جمال الفن وسمو الفكرة.

خاتمة:

لقد أحدث الإسلام تحولًا جذريًا في الشعر العربي؛ إذ لم يُلغِ الشعر بل هذّبه ووجّهه نحو أهداف إنسانية وروحية سامية.

فأصبح الشعر بعد الإسلام رسالة هادفة، تخاطب العقل والروح معًا، وتنقل الإنسان من ضيق العصبية والهوى إلى سعة الإيمان والحق والخير.

<u>مراجع مقترحة:</u>

- شوقي ضيف، العصر الإسلامي
- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب
- عبد الرحمن الرافعي، الإسلام والشعر